العرب
الجمعة 2020/05/22
السنة 42 العدد 11710

الامتحان الصعب لنجوم مسرح مصر

«2 في الصندوق» يفجّر طاقة التقمّص و«عمر ودياب» يخنق الكوميديا بالنكت

مصطفى خاطر وعلي ربيع لم يقدما جديدا في مسلسل «عمر ودياب»

طرحت مسلسلات رمضان التي شارك فيها نجوم مسرح مصر من الشباب، تساؤلات حول مفهوم الدراما وطبيعة الكوميديا لدى هؤلاء الفنانين الشباب، الذين اجتهد بعضهم في استيعاب أبجديات التمثيل وتقمص الشخصيات، في حين توقّف البعض عند الأداء المكرّر والنكت المجانية. وتثير هذه الأعمال النقاش حول دور الفن في مدرسة الضحك الجديدة، وهل هو مجرد انعكاس للواقع أم محاولة لتهذيبه وتثقيفه؟

شريف الشافعي
كاتب مصري

القاهرة – حظي نجوم مسرح مصر بحضور كبير في الدراما الرمضانية هذا العام، خصوصا من خلال مسلسلين نالوا فيهما البطولة، وهما "2 في الصندوق" لحمدي الميرغني وأسامة المعروف بـ"أوس أوس" من تأليف لؤي السيد وإخراج محمد مصطفى، و"عمر ودياب" لمصطفى خاطر وعلي ربيع من تأليف فاروق هاشم ومصطفى عمر وإخراج معتز التوني. إلى جانب مشاركة الميرغني في مسلسل "فلانتينو" مع عادل إمام.

ولقيت هذه الأعمال صدى جماهيريا تجسّد في ملايين المشاهدات والمتابعات عبر الفضائيات والمنصات الإلكترونية، بما أثبت تمكّن هؤلاء الشباب من بلورة صيغة فنية مغايرة بدت ملائمة للأجيال الجديدة ومقوّمات الحاضر المجتمعي بكل ما فيه من أزمات وإشكالات وإحباطات وضحالة.

وفي هذه الأعمال الدرامية الجديدة التي شهدها الموسم الرمضاني الحالي، هناك ملامح مشتركة تخصّ نجوم مسرح مصر، وتهيمن على صناعة هذه المسلسلات الكوميدية التي شاركوا فيها برمّتها. وهناك على الجانب الآخر تفاوتات جزئية نوعية وأمور فنية إيجابية تُحتسب للبعض منهم وتبرز إمكاناتهم وتزيد من رصيدهم، وأمور أخرى سلبية تُحتسب على آخرين وتنتقص من تجربتهم.

الضحك كغاية

السمات المشتركة في هذه المسلسلات ببساطة هي تلك الخصائص العامة والثوابت التي قامت عليها مدرسة الضحك الجديدة منذ ظهور عروض "تياترو مصر" ومن بعده مواسم "مسرح مصر" المتتالية خلال السنوات الماضية، ومن أبرزها اتخاذ الضحك في حد ذاته فلسفة منفردة وغاية وحيدة، فلا رهان سوى على الابتسامة، بغض النظر عن طريقة توليدها، سواء من خلال مشهد محبوك وموقف درامي متصاعد، أو عبر المفارقة، أو عبر نكتة أو لازمة أو "إفّيه" أو ارتجال.

وبالتالي فإن ما يسمّى بالنص أو الورق محال عادة إلى الخلفية أو الهامش، أو قد يكون في بعض الأحوال مجرّد خطوط عريضة أو حصادا أوّليا لورشة عمل، أو لا وجود له تماما.

ومع المتغيرات التي شهدتها السنوات الأخيرة على الأرض، وطغيان المشكلات الواقعية والمجتمعية من قبيل التفسّخ الأسري والبطالة والفقر والقهر والاغتراب والانسلاخ عن الذات والحقيقة والانخراط في العوالم الافتراضية والإحساس بالضياع والانهزامية والتضاؤل وفقدان البوصلة والهوية وانتشار الإحباط وما إلى ذلك، تخلخلت المعايير والقيم لدى الشباب والأجيال الجديدة، وصارت الآمال والدعوات الإصلاحية الجادة بعيدة المنال.

وفي الوقت نفسه فإن الرغبة في مقاومة التيار ما زالت كبيرة لدى الكثيرين من المتحصّنين ضد الانحراف والانجراف، فكانت السخرية والروح المرحة و"القلش" من أجل التمسك بالحياة، والاستهزاء الكاريكاتيري بالذات وبالآخرين والأوضاع المحيطة بصفة عامة، انطلاقا من أن "شرّ البليّة ما يضحك".

> مدرسة الضحك تكتفي بقراءة الواقع الهش ومغازلة الأجيال الجديدة بعيدا عن ادعاءات التجميل والتوعية والإصلاح والتثقيف

واكتفى جيل مسرح مصر من الممثلين ومن المهرّجين الجدد بمبادئ مدرسة "الضحك من أجل الضحك"، قانعين برؤية الواقع الهشّ العاري من على السطح، بكل ما فيه من أزمات فادحة وسوءات فاضحة وملابسات متشابكة، وقنعوا في أعمالهم بكبسولات التغييب المكثّفة، المشحونة ضحكا وعبثا وفانتازية دون السقوط في الإسفاف، بالمعنى الأخلاقي والرقابي. ومن ثم فإن هذه الخلطة قد نجحت في مغازلة رفقائهم من الشباب، الذين لم تعد تناسبهم تماما أعمال تدّعي التجميل والإصلاح والتثقيف وتحرص على بثّ رسائل من خلال الفن، وبخاصة الكوميديا.

ولم تصل حالة نجوم مسرح مصر إلى هذا القدر من التحقّق والذيوع بالصدفة، وإنما بالقدرة الذكية والتلقائية المدروسة في آن، على ملء الفراغ الذي سبق ظهورهم. فوسط واقع يسوده الخواء ويتحدّث بلغة التمزّق والتناثر، كانت التيارات الفنية المحافظة والتقليدية تتحدّث بأبجدية متعالية، ونمطية، متكررة، ومنفصمة عن الزمان والمكان، إلى جانب مباشرتها ونبرتها التوعوية التي لم تعد صالحة لمخاطبة حتى الأطفال في عصر الرقمية وثورة المعلومات.

ولذلك فإن المُضحكين الجدد قد تمكّنوا بسهولة من سحب البساط من تحت أقدام صيغ فنية بالية وصنمية، من أبرزها أعمال محمد صبحي على سبيل المثال، المسرحية والتلفزيونية، التي كانت أيقونات لما يسمى "الفن الهادف" لسنوات طويلة سابقة، قبل أن تتراجع متحوّلة إلى بيانات وعظية مثيرة للشفقة من الوجهة الفنية.

ولعل من أهم عوامل سيطرة المُضحكين الجدد على المشهد رهانهم على أن مصداقية التفاهة أفضل من الادعاء الزائف للقيمة والتنوير، فأوصلهم هذا الإخلاص إلى قلوب الشباب، ومكّنهم من تقويض نظريات فنية متكلسة ومتحجّرة انحدرت ميكانيكيا من حقبة الستينات المليئة بالعناوين البرّاقة المخادعة حول الفن الموجّه والثقافة الإرشادية والخطاب الجمالي الممسوخ لصالح السياسة والأيديولوجيا والهيمنة السلطوية والأبوية.

في حين أن الكثير من الأعمال المنتسبة إلى تلك النظريات (ومنها أعمال صبحي ذاته) لم تخل من السقطات الجنسية والإيحاءات الخارجة مثلا، وفق منطق القيمة وتوظيف الفن.

واصل نجوم مسرح مصر في الموسم الرمضاني الحالي ما بدأوه من سيناريوهات الإضحاك والسخرية، من أنفسهم ومن كل من وما حولهم، بعيدا عن أي قيود، إلّا الفضائحية وخدش الحياء، وجاءت أدوارهم مزيجا من قدرات الممثلين، ومهارات البلياتشو "المهرّج" والأراجوز، ولم يضرهم ذلك بأي حال من الأحوال، أمام هدف أول وأخير، هو زرع الابتسامة البكر، بأيّ وسيلة كانت.

صعود وهبوط

ما يُحتسب لبعض هؤلاء الشباب في مسلسلات هذا العام على وجه التحديد هو سعيهم الجاد والحقيقي، ربما للمرة الأولى، إلى تطوير أدائهم التمثيلي وتطويع إمكاناتهم و"ركوب الشخصيات" بشكل احترافي محكم، دون أن يتنافى ذلك مع التلقائية والبراءة والطزاجة التي يتميزون بها.

> نجوم مسرح مصر قنعوا في أعمالهم بكبسولات التغييب المكثفة، والمشحونة ضحكا وعبثا دون السقوط في الإسفاف

وفي امتحان دراما رمضان الأصعب، يمكن القول إن حمدي الميرغني و"أوس أوس" تقدّما خطوات واسعة في خوضهما تجربة "التمثيل" بمدركات أوسع في مسلسلهما "2 في الصندوق"، الذي فجّر لديهما طاقة التقمّص، وساعدهما كثيرا في كسر برواز الشخصيات المسرحية التي تكرّرت.

وقد جسّدا بمهارة شخصيتي شابين توأمين يتطلعان إلى تجاوز محيطهما الاجتماعي والطبقي كجامعي قمامة، وتحقيق أحلامهما في العشق والزواج والعمل في الوسط الفني، أحدهما كممثل، والآخر كمطرب.

ولم يقدّم الميرغني جديدا في دوره بمسلسل "فلانتينو" مع عادل إمام، وكذلك فإن الثنائي مصطفى خاطر وعلي ربيع استسلما للحل المريح في مسلسلهما "عمر ودياب"، فلم تكن هناك دراما بالمعنى الناضج المكتمل في العمل المترهّل والمفكّك، الذي جسّدت حلقاته مواقف كوميدية متفرقة مصاحبة لرحلتهما الفاشلة معا من أجل البحث عن عمل.

ولم يتجاوز "عمر ودياب" حدود الدائرة المغلقة لأجواء مسرح مصر وشخصياته وحركاته، وأوشكت الكوميديا على الاختناق بفعل الإفيهات المتكرّرة والقفشات المجانية والأداء الاستسهالي، وفقد خاطر وربيع فرصة ذهبية لتفعيل حضورهما والإفصاح عن قدراتهما بشكل أفضل، خصوصا أن الجمهور لم يفقد الثقة بعدُ في إمكانات شباب الإضحاك القادمين من مسرح مصر.

أحمد زاهر
نجم الشر في رمضان

إنجي سمير
كاتبة مصرية

القاهرة – استطاع الفنان المصري أحمد زاهر أن يخطف النجاح هذا العام، ووافق على المشاركة في مسلسل "البرنس" للفنان محمد رمضان لإدراكه بأن شخصية فتحي التي جسّدها مختلفة، ومن الممكن أن تضيف إلى تاريخه الفني، لأنه من الفنانين الذين يقبلون دوما الشخصيات التي تدفعهم إلى الأمام.

وتحوّل زاهر من خلال هذه الشخصية إلى ما يشبه تميمة الشر على مواقع التواصل الاجتماعي، التي عجّت بالكثير من التدوينات والتعليقات التي تفاعلت مع الشخصية ومع أحداث المسلسل الذي سلط الضوء على تحوّلات خطيرة في مصر جراء انتشار العنف بين أفراد الأسرة الواحدة، وركّز على التفسّخ الأخلاقي الذي ضرب عمق المجتمع في مناطق شعبية، طالما عدّت بمثابة نموذج للتماسك والترابط.

قال أحمد زاهر في حواره لـ"العرب"، إن شخصية فتحي استغرقت منه وقتا طويلا في التحضير لطبيعتها الخاصة، لأنه من الصعب جمع كل الصفات السيئة في شخص واحد بهذه الطريقة، وجلس مع مؤلف ومخرج العمل محمد سامي كثيرا، وقام معه بدراستها جيدا بما يمكنه من إبراز معالم الشخصية متعدّدة الانفعالات والوجوه في وقت واحد على حسب الموقف، لأنه شخص متلوّن على حسب أطماعه وبحس كوميدي ما تطلب بذل مجهود كبير.

وأضاف أنه تعايش مع النواحي الشكلية والنفسية للشخصية، وعايش تاريخ وجودها في المناطق الشعبية، وتقمّص ملامح الشخصية للوصول لهذا الشكل، ما جعل المجهود النفسي للإعداد لها أصعب كثيرا من التحركات البدنية، وقد أرهقته معنويا وجسديا كي يصل بها إلى مستوى يجعل الجمهور يصدّقه تماما.

وأكّد لـ"العرب"، أنه لم يخش كره الجمهور له لأن حدوث ذلك دليل على نجاحه، بجانب أنه قدّم الشخصية بعد أعمال عديدة متنوعة عرضها من قبل وليس بمثابة وجه جديد من الممكن أن يجري وضعه في هذا الإطار وتصدير مشاعر الكراهية له لعدم رؤيتهم لمثله من قبل، وأن الجمهور يعرف جيدا طبيعة أعماله التي تمسّ جذور الأسرة، والكره يكون للشخصية، لكن التصفيق يكون له كممثل.

وتدور أحداث المسلسل حول عائلة "البرنس"، و"رضوان البرنس" الذي يجسد شخصيته الفنان محمد رمضان، ويعمل سمكري في ورشة للسيارات يملكها والده، ويجد نفسه مسؤولا عن عائلته بعد وفاة والديه، ما نجم عن بعض المشكلات الأسرية بينه وبين أشقائه الستة، وهم عبدالمحسن ويجسده إدوارد، وفتحي ويقوم بدوره أحمد زاهر، وياسر ويمثله محمد علاء، ونورا وتلعب دورها ريم سامي، وعادل الذي يقوم بدوره الفنان الشاب أحمد داش.

وقال زاهر إن مشاهد الانتقام التي تحدث بينه وبين رضوان البرنس تعتبر مبارزة بين الطرفين، فشخصية فتحي توضّح مدى الخيانة والغدر واستحلاله القتل أمام مصالحه الشخصية واستخدامه الكذب لتبرير جميع أفعاله، وأضاف "ليس ذلك فقط، بل وجدت أن الجمهور متفاعل معها وهناك من يريد قتله".

كشف أحمد زاهر في حواره مع "العرب"، أن صعوبة شخصية فتحي تكمن في انفعالاتها الكثيرة والمتقلبة، والدليل على ذلك مشهد النيابة عندما قام بالشهادة زورا على شقيقه رضوان أمامه دون خوف أو حتى حياء، لكن عندما خرج من مكتب وكيل النيابة تحوّل للنقيض وقام بتهديد شقيقه والتشاجر معه.

وأضاف أن فتحي يملك العديد من الاضطرابات النفسية، منها عدم إنجابه لإصابته بالعقم، وتعرّضه لصدمات عاطفية بسبب حبه لعلا، وقامت بدورها الفنانة اللبنانية نور، والتي لا تبادله نفس الشهور وتنجذب إلى شقيقه رضوان، وإهانتها له، بجانب العديد من المفاجآت.

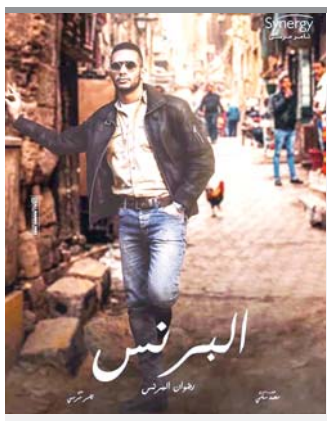

> السبب الرئيسي وراء نجاح «البرنس» على المستوى المصري والعربي أيضا يعود إلى قربه من المشكلات الأسرية المتشابهة

ويعتبر زاهر أن السبب الرئيسي في نجاح مسلسل "البرنس" على المستوى المصري والعربي أيضا يعود إلى قربه من المشكلات الأسرية المتشابهة ما جعله يحظى بمتابعة أكبر، لأن الجمهور يشعر بقرب العمل من طبيعة حياتهم وحكاياتهم والمشاجرات والصراعات بين الأشقاء على الميراث، حيث يصل الطمع ببعضهم حدّ القتل، وهي جرائم تتكرّر كثيرا وتكون حاضرة في أخبار الحوادث بالصحف، بعيدا "الأكشن".

وأوضح أن هناك شخصيات كثيرة مثل فتحي، الأخ الظالم و"المفتري" في كل شيء ويريد تحقيق أطماعه ويتمتّع بأنانية شديدة حتى مع زوجاته، وعندما نقرأ الجرائم التي تحدث نجد هناك من يتشابه معه، فالطمع وانعدام المبادئ من الممكن أن يؤديا بالإنسان إلى فعل أي شيء غير متوقع، بجانب تفاصيل أخرى تتمثل في النشأة غير الصحيحة والتفرقة بين الأشقاء، حيث أن فتحي أصبح على هذا الحال نتيجة تفضيل والده شقيقه رضوان عليه، علاوة على بعض المفاهيم الخاطئة التي تسبّبت في وجود شخصيات جاحدة مثله.

واعترف أن المخرج محمد سامي وضعه على الطريق الصحيح، والدليل على ذلك نجاح العمل الخامس له معه على الشاشة، وهو ثيمة الحظ التي تأتي في الوقت المناسب ويعرف كيف يضعه في الأدوار المهمة حتى لو كانت كضيف شرف، مثلما فعل معه في مسلسل "ولد الغلابة" الذي عرض رمضان الماضي وجسّد فيه شخصية "جمال لبة" المحامي.

ونوّه أحمد زاهر إلى أن البطولة المطلقة لا تشغله وهي بالنسبة له ليست مقياسا للنجاح، فهناك بطولات جماعية حقّقت نجاحا أكبر، والدليل على ذلك أن دور فتحي تصدّر تفاعلات الجمهور على مواقع التواصل الاجتماعي طوال الأيام الماضية، وهذا النجاح أكبر من البطولة المطلقة.

شخصية متعددة الأوجه